وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر -بسكرة-

قسم العلوم الاجتماعية

المقياس: النظريات الأنثروبولوجية الكلاسيكية

المستوى: السنة الثانية ليسانس أنثروبولوجيا عامة

الأستاذة: قوراري منيرة

السنة الدراسية: 2024-2025

المحاضرة-05: جيمس چورج فريزر

چيمس چورج فريزر:**James George Frazer** أخذ لقب سير(Sir) ، ولد في جلاسجو، أسكوتلندا، **1 يناير** سنة **1854**- توفى في جلاسجو، اسكوتلندا **7 مايو** سنة **1941م**.عالم أنثروبولوجيا إسكوتلندي كبير. الف كتابه المشهور والضخم **الغصن الذهبي The Golden Bough**وهو عباره عن دراسه في السحر والدين (1890). وضح فيه أن كثير من الاساطير الدينية والشعائر الدينية أصلها منذ أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ. وإن التطور العقلي البشري مر بثلاث مراحل: السحر البدائي، والدين، والعلم.

من كتبه المهمة الأخرى: **الطوطميه والزواج** بغير ذوي القربى **Totemism** and **Exogamy** و الطوطميه Totemism عن نظام الطوطم في المجتمعات البدائية. كتب بطريقه أدبيه شيقه. مؤلفاته كان لها اثر كبير في تطور علم الانثروبولوجيا وعلى العالم النفسي الكبير فرويد الذي ألف كتاب " **طوطم وطابو"**

عملـــــــه

أضاف فريزر دراسة الأسطورة والدين إلى مجالات خبرته. لم يسافر فريزر على نطاق واسع، باستثناء زيارته إلى إيطاليا واليونان. اعتمد فريزر على السجلات التاريخية القديمة والاستبيانات المُرسلة إلى المبشّرين والمسؤولين الإمبراطوريين في جميع أنحاء العالم، باعتبارها مصادره الأساسية لجمع البيانات. بدأ اهتمام فريزر بالأنثروبولوجيا الاجتماعية بعد قراءته لكتاب **إدوارد بيرنت تايلور** الثقافة البدائية (1871) وتشجيع صديقه الباحث في الكتاب المقدّس ويليام روبرتسون سميث له؛ الذي كان يعمل على مقارنة عناصر العهد القديم مع الفلكلور العبري المبكر.

اعتُبر فريزر أول العلماء الذين وصفوا العلاقات بين الأساطير والطقوس بالتفصيل. لم تؤكّد الدراسات الميدانية رؤيته فيما يتعلّق بالتضحية السنوية للملك المقدّس. وعلى الرغم من ذلك، أصدر فريزر دراسة الغصن الذهبي التي بحث فيها في مجال العقائد والطقوس والأساطير وأوجه الشبه بينهم في المسيحية المبكّرة؛ بحث جامعو الأساطير الحديثين في هذه الدراسة على مدى عدّة قرون بسبب احتواءها على معلومات تفصيلية.

نُشرت الطبعة الأولى من دراسته في عام 1890، إذ كانت مكوّنة من مجلّدين؛ بينما نُشرت الطبعة الثانية في عام 1900، واحتوت ثلاثة مجلّدات. انتهى العمل على الطبعة الثالثة في عام 1915، إذ تكوّنت من 12 مجلدًا قبل أن يُضاف المجلد الثالث عشر المكمّل في عام 1936. نُشرت طبعةً مختصرةً مؤلّفةً من مجلد

واحد في عام 1922، إذ أعدّت هذه الطبعة زوجته ليدي فريزر مستبعدةً بعض المعلومات المثيرة للجدل حول المسيحية. تجاوز تأثير عمله الحدود التقليدية للأوساط الأكاديمية، إذ ألهم الأعمال الجديدة للعديد من علماء النفس والأطباء النفسيين. استشهد مؤسس مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد بالطوطمية والزواج الخارجي مرارًا وتكرارًا في كتابه **الطوطم والطابو**: التشابه بين الواقع النفسي للبدائيين والعصابيين.

استطاع فريزر جذب أجيال من الفنانين والشعراء من خلال فكرته المتعلّقة بدورة الحياة الرمزية والموت والانبعاث؛ الفكرة التي تكهّن بها بعد دراسته لأساطير العديد من الشعوب[1]

يعود عنوان كتاب "الغصن الذهبيّ" لجيمس فريزر إلى الميثولوجيا الرومانية، وتحديداً إلى الأسطورة التي تقول بأنَّ "الغصن الذهبيّ هو الفرع المشؤوم من أغصان الشجرة التي تقع في مقام نيمي بإيطاليا، وهو الغصن الذي لا يمكن لأحد كسره إلّا من قِبل عبدٍ فارّ، يتعارك مع الكاهن ويهزمه ويصبح من بعده ملكاً للغابة". يُثبت الكاتب والباحث الميثولوجيّ جيمس فريزر من خلال "الغصن الذهبي" أنَّ الكثير من العادات والمعتقدات والسلوكيَّات التي نمارسها ونؤمن بها في عصرنا الحديث، ليست سوى صيرورة وامتداد لمعتقداتٍ دائيةٍ قديمة، نرفض الاعتراف بها إلا بعد أن نقوم بإلباسها أثواباً جديدة. ولعلَّ أبرز ما يتناوله الكتاب في هذا الشأن هو مفهوم السِّحر لدى الإنسان القديم فالسحر نظرياً هو فنٌّ زائفٌ، أمَّا من الناحية العمليَّة فهو عِلْمٌ زائفٌ. وقد قام هذا الفن، أو هذا "العِلْم"، لدى الإنسان البدائيّ على مبدأين اثنين، سنستعرضهما ببعض الأمثلة.

المبدأ الأول: يرى هذا المبدأ بأنَّ الشيء يأتي بمثله والأثر يشبه المؤثّر من خلال التشابه. وهذا هو الجانب التعاطفيّ من السِّحر، ويُسمَّى أيضاً بسحر التجانس". ولتوضيح هذا المبدأ وآلية عمله، كما كان يراه البدائيّ، سنقدّم ثلاثة أمثلة لثلاث حالات تُحاكي الحرب والولادة والشفاء من المرض:

1 -الاعتقاد بإنزال الأذى والدمار بالخصم من خلال إلحاق الضرر والأذى بصورته! ومثال ذلك ما كان يقوم به سكان ماليزيا قديماً بأخذ عيّنة من كل جزء من جسم الشخص المُستهدف بالسِّحر والأذيَّة، كأخذ شعرة من الحاجب، ليتمّ تمثيل الرأس بها مثلاً، ثمَّ محاولة جمع هذه التفاصيل لتأخذ شكلاً قريباً من شكل الشخص المقصود مع شمع مأخوذ من مشط نحل مهجور، يتمّ حرقه على منديل أو فوق سراج لسبع ليالٍ كاملة، مع التلفُّظ بكلماتٍ مفادها أن ما يحترق هو "روح" ذلك الشخص وليس الشمع! وهذا يذكّرنا بممارسات ما تزال منتشرةً في الحارات الشعبية الشرقية إلى يومنا هذا، وتُدعى بـ"الحجاب". إضافةً إلى الكثير من العادات الأخرى التي تُمثِّلُ استطالاتٍ لطقوسٍ سحريَّةٍ بائدة، كما هو الحال في مثالنا التالي.
2-عادة تمرير الجنين من طوق المرأة التي لم تُنجب طفلاً بعد، والمأخوذة عن ممارسات "سِحرية" قديمة، حيث كان يكفي أن تسحب العاقر الولد من تحت ثيابها،ليصبح بعد ذلك ابنها الشرعيّ.
3- تقليد ذبح الحيوان بعد الشفاء من المرض وإسالة الدم الأحمر، والذي كان يرمز لدى البدائيّ إلى التعافي من المرض، على العكس من اللون الأصفر لون المرض. حيث إن مريض اليرقان المُصفرّ الوجه مثلاً، كان ينظر إلى الشمس كثيراً معتقِداً أنه يُعيد بذلك اصفراره إليها! أو أنه يتبادل النظرات مع كروان الصخر أو مع طائرٍ بعيونٍ صفراء ليتخلَّص من شحوبه ومرضه! فيحلّ اللون الأحمر (رمز التعافي والصحة) بدلاً من اللون الأصفر (رمز المرض والوهن).

المبدأ الثاني: يُقرُّ هذا المبدأ بأن الأشياء التي كانت يوماً ما متَّحدةً مع بعضها فإنها تبقى كذلك دائماً، حتى بعد انفصالها الفيزيائيّ! ويُسمَّى هذا المبدأ المتمثِّل بالاتصال بسحر العدوى". وهو نوعٌ من الخرافة ما يزال

---

[1]-جيمس فريزر https://ar.wikipedia.org/wiki

سائداً إلى يومنا هذا أيضاً، متَّخذاً شكلاً جديداً في المعتقد، غير أن الجوهر واحدٌ. ولمزيد من التوضيح نقدّم هذين المثالين:

1- وضع الأسنان المتساقطة في مكانٍ قد يصل إليه الجرذ، لكي يُقوّيها بقوّة أسنانه، ويؤثِّر في جودة الأسنان النامية الأخرى. أو أن يذهب الطفل إلى الموقد بنفسه، ويُدير له ظهره، ثم يرمي سنّه المخلوعة قائلاً: "أيها الفأر أعطِني سنَّك الحديدية، وخذ سنّي العظمية". والحقيقة أن هذا الطقس ما زال يُمارس حتى الآن، لكن بدلاً من قول: أيها الفأر، يُقال: أيتها الشمس، وبدلاً من: سن الفأر، يُقال: سن الغزال!
2- المثال الثاني مأخوذٌ عن قصةٍ حدثت في زمنٍ ليس ببعيد، وتتحدَّث عن شابّ تعرَّض لحادثٍ أدّى إلى بتر ذراعه. ولأنَّ هذا الشاب كان يعتقد بأن العلاقة بين الجسد وأحد الأطراف لا تنقطع حتى بعد القطع، ظلَّ يعاني من ألمٍ في مكان البتر، ظانّاً بأن سبب الألم هو يده التي أصبحت في مكان ثانٍ وليس مكان البتر! ولم يتوقف إحساسه الوهميّ هذا إلا في عيادة الطبيب النفسيّ، الذي لجأ إلى الحيلة لإيقاف الألم، وذلك عن طريق خداع اللاوعي لدى هذا الشخص. حيث طلب منه تحريك يده السليمة، ثمَّ قام باستخدام مرآة معكوسة ليوهم اللاوعي بأن اليد قد عادت إلى مكانها! وبذلك انتهت أوجاع ذلك الشابّ! وهنا نستطيع ملاحظة مدى تأثير وامتداد طقس "سِحر العدوى" في وجدان هذا الشخص! لقد كان، وما يزال، كتاب "الغصن الذهبيّ" مرجعاً عظيماً ارتكز عليه الكثير من الفلاسفة وعلماء النفس في كتابة مؤلَّفاتهم.[2]

إنتقادات فيتغن شتاين لكتاب جيمس فريزر: الغصن الذهبي

يعتبر كتاب جيمس فريزر «الغضن الذهبي: دراسة في السحر والدين» (مترجم إلى العربية) من كلاسيكيات الأنثروبولوجيا. لقد وقف فيه على الكثير من تصورات وممارسات الشعوب البدائية، ولذلك نجد فيتغن شاين، الفيلسوف والرياضي، يدون ملاحظات على هذا الكتاب لم تطبع إلا بعد وفاته، لأنه لم يعمل على صياغتها. ويرى جاك بوفيريس في دراسته تحت عنوان:

«**الحيوان الاحتفالي: فيتغن شتاين والأنثروبولوجيا**» أن هذه الملاحظات تعتبر بحق من بين أهم نصوصه التي تعبر عن «عقل» فلسفته، من جهة، ومن جهة أخرى يمكن التعامل معها على أنها وثيقة هامة لإعادة التفكير النقدي في مناهج ونتائج البحث الاجتماعي والأنثروبولوجي.

يؤاخذ فيتغن شتاين على فريزر خطأه في فهم الإنسان «البدائي» موضحا أن السبب في ذلك يعود إلى أنه ينطلق في تأويلاته من العقلانية الضيقة، ومن المركزية العرقية الساذجة. وتبعا لذلك فإن موقفه الرئيسي يتمثل في رغبته في شرح ما لا يمكن، وما لا يجب أن يكون. ويستنتج أن تأويلاته تجمع بين عيوب الموضوعية العلمية وعيوب التأويل النفسي. ويعارض الفضائل التفسيرية للأطروحة التطورية، وبشكل عام، فضائل الفرضيات الجينية، مبرزا أن المسافة التي حددتها الأنثروبولوجيا التطورية بشكل مصطنع بين المجتمعات «البدائية» ومجتمعاتنا تنتج أساساً عن سوء تأويل الغرض من التفسير العلمي ووظيفته، وتقدير خاطئ لإمكانياته. كما أن التقارب الحقيقي الموجود بين «متوحشي» فريزر وأنفسنا لا يتجلى فقط في حقيقة أننا لدينا أنفسنا أساطير لا تختلف عن نظيرتها لدى الشعوب الأخرى. ويسجل أن الفلسفة نفسها تقدم أمثلة رائعة على استخدام الإجراءات «السحرية»، وموقفها الطبيعي من اللغة أسطوري بشكل أساسي. وعلى عكس ما قد توحي به بعض فقرات ملاحظاته على فريزر، لم يقبل فيتغن شتاين التفسير الذاتي (النفسي) أكثر من التفسير الموضوعي لمفهوم «التأويل» في العلوم الإنسانية. إن أصالتها هي أن تحاول في نفس الوقت الحفاظ على تمييز واضح بين طريقة العلوم الإنسانية وأسلوب علوم الطبيعة.

---

[2] https://elaph.com/Web/Culture/2020/08/1302875.html

وبعد تسجيله للخلفية التي تحكمت في تصورات فريزر وتأويلاته، كانت أهم مرتكزات ملاحظاته تتمثل في ذهابه إلى أن مختلف الممارسات والطقوس التي يمارسها الإنسان قديما وحديثا متشابهة، وأن الممارسات الدينية، أو الحياة الدينية للملك ـ الكاهن، ليست من طبيعة مختلفة عن أي ممارسة دينية في وقتنا الراهن، مثل الاعترافات عن الخطايا. هذه أيضا يمكن أن تفسر، ولا يمكنها أن تفسر. ويعترض على قول فريزر الذي يؤكد أن بعض الطقوس التي يمارسها البدائي بأنها تعبير عن الخوف من «شبح» الضحايا. متسائلا: لكن لماذا يستخدم فريزر كلمة «شبح»؟ إنه يفهم هذه «الخرافة» جيدًا، وهو يشرحها لنا بكلمة «خرافية» ذات استخدام متواتر حاليا. أو بالأحرى: ربما لاحظ أن شيئاً ما فينا أيضاً يتحدث لصالح ممارسات المتوحشين هذه؟ ويضرب المثال التالي: عندما أعتقد أن هناك بشراً خارقين في مكان ما، يمكن تسميتهم، مثلا، بالآلهة، أقول: «أخشى انتقام الآلهة». لكن هذا لا يعني أنني مرتبط بهذا الاعتقاد أصلا. ويمكننا في هذا السياق تقديم عبارة الفرنسي(à Dieu) :، أو (Grâce à Dieu) مثالا لذلك. فهي لا تعني أن قائلها يعتقدها ولا سيما إذا لم يكن مؤمنا.

كما يرفض فيتغن شتاين التفسير التاريخي الذي يأخذ شكل فرضية التطور والتي هي ليست سوى طريقة لجمع البيانات لتقديم صورة إجمالية عن الممارسات. لذلك يمكن النظر في البيانات في علاقاتها المتبادلة وتجميعها في جدول عام. لكن ذلك لا يعني وضع فرضية تؤكد أن تلك الممارسة تطورت مع الزمن. ويضرب لنا مثالا عن ذلك من خلال قوله: «فأنا مثلا حين أستشيط غضبا من شيء ما، أضرب أحياناً بعصاي على الأرض أو على شجرة. لكنني لا أعتقد أن الأرض مسؤولة، أو أن فعل الضرب يمكن أن يقدم لي شيئا. إنني فقط أعبر عن غضبي. وكل الطقوس التي يمارسها الإنسان هي من هذا النوع. يمكن أن تسمى مثل هذه الأفعال أفعالًا غريزية. لكن الذهاب إلى محاولة تفسيرها تاريخيا على أساس أن أسلافنا اعتقدوا ذلك، فهذه افتراضات لا أساس لها. إن ذلك مجرد تشابه في التعبير عن الغضب. إن كل أسطورة هي مترسبة في اللغة. ويعدد فيتغن شتاين الأمثلة التي تبرز تهافت تأويلات فريزر التي لا تختلف عن تهافتات بعض مثقفينا[3].

المراجع

1-جيمس فريزرhttps://ar.wikipedia.org/wiki/

2-https://elaph.com/Web/Culture/2020/08/1302875.html

3- فيتغن شتاين-مؤاخذات-على-الغصن-الذهبي

https://www.alquds.co.uk/

[3] فيتغن شتاين-مؤاخذات-على-الغصن-الذهبيhttps://www.alquds.co.uk